كيفية تكوّن الفصحى

بحث يبيّن أبرز الظواهر المعجزة، والمراحل التاريخية
لتكوّن اللغة العربية الفصحى، وصياغتها بأدق الطرق
دونما خلل أو نقص

رياض خليفة علاوي عيسى التميمي

How the Classical Arabic Composed, A Search Shows the Most Extinguished Wonders and the Historical Stages of Classical Arabic Composition and it's reformatted in Much Accurate Ways without Defect or Short

Riyadh Khaleefah A. A. Al-Timimi

1- The language composition and its formation is a wondrous order that cannot guide to it`s nature accurately but its creator (Allah) or by those Allah choose them like Prophets (PUBH).
2- Our Arabic classical language that we deal with it, represented by the Holly Quran and Prophetical Hadith, and poems are the best gifts that Allah gifted us (we are the Arabs), it is an important element of character and a main corner of literature to follow the civilization and progression march
3- The Arabic language is the best, and most spread classical languages, and the Iraqi Arabic language is one of the main language that associated in composing the classical language. The Babylonian language, represented by (Abraham) (PUBH) language, there are great proud for the people of Iraq where Allah chose most of their language to represent HIS Book, the religion of right and the wonder of HIS Prophet (PUBH)
4- Allah attended to keep the classical language because it is the language of the Holly Quran and its maintenance is an honour proud by its people and it is a precious diamond because its creator and its keeper is Allah.

Comment la langue littéraire se construit?

C'est une recherche montre les phénomènes les plus miraculeux et les étapes historiques de construire la langue arabe littéraire classique et sa rédaction parfaite sans défaut ou déficience

Riad Khalifa Allaoui Issa Al-Tamimi.

1-La façon de formuler la langue, sa fabrication reste un ordre miraculeux et inconnu pour nous, sauf pour ce que Allah veut spécialement enseigner des prophètes- prières et saluts soient pour eux-

2-Notre langue arabe classique et littéraire de notre époque, représentée par le Coran et le Hadith, et la poésie, est la meilleure des bénédictions accordées par Allah sur nous (Nous les Arabes), étant un élément important du caractère et un coin des piliers de la culture, à fin de suivre le propre sentier de la civilisation et du progrès.

3-La langue arabe est alors la plus éloquente, vaste et privilégiée parmi les langues, et la langue du peuple de l'Irak est l'une de grandes langues principaux qui ont contribué à la formation de la langue classique et littéraire, celle de Babylone, représentée par la langue d'Abraham (que la paix soit sur lui) dans cette grande fierté pour le peuple irakien que Allah avait choisi une grande partie de leur langue afin de représenter la langue de son chapitre du Livre, et sa juste religion, et le miracle de son dernier Messager (que la paix soit sur lui).

4-Allah seul-Le Tout puissant- qui avait promis de garder la langue arabe classique et littéraire car c'est la langue de noble Coran, et c'est réellement l'honneur pour son peuple de la garder et servir, en fait saurait un bijou que son Créateur est Allah -Le Tout-Puissant.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أبى المولى جل قدره الا ان تتم كلمته فتكون هي العليا حينما تحدى ارباب العربية بلغتهم وسخر لهذا الامر الجلل نبيه الاكرم محمد–صلى الله عليه وسلم– النبي الامي الذي يزيد بذلك الاعجاز من الله لقلوب قست فلم تنفعها المواعظ سوى ما يعجزها.

واننا ونحن بصدد الحديث عن اللغة الفصحى تتبادر الى اذهاننا تساؤلات وجدت من الازم ايجاد اجابات لها ، فهل ان الفصحى ولدت بهذا النمط من الدقة في النظم وحسن السبك؟ أم انها تطورت ونمت فتداخلت حتى وصلت الى ما هي عليه اليوم من قواعد واسس ؟

من هذا المنطلق فاني وجدت البحث في اصل الفصحى وكيفية تطورها وتكوينها من اجمل المواضيع التي لا تكاد تنقطع فوائده ونتائجه.

وقد استعنت في دراستي المتواضعة هذه بالمنهج الوصفي ، من اجل الحصول على نتائج دقيقة لمعرفة الكيفية التي تكونت بها اللغة الفصحى والآلية التي ادت الى تطورها وبقائها حية عبر القرون الماضية.

فجعلت بحثي هذا مكونا من مطالب ثلاث، كان اولها بعنوان :

(العربية اصولها ونشأتها)،بينت فيه اصل العربية وكيف نشأت عبر العصور الغابرة .

ثم عطفت بالمطلب الثاني الذي كان بعنوان: (لغة قريش واسباب تميزها)، والذي قدمت فيه وصفا للهجة قريش والاسباب التي جعلت منها ابرز اللهجات القائمة آنذاك والعوامل التي دفعت لتميزها ورفعتها .

وكان المطلب الاخير بعنوان: (الفصحى لغة القران)، حاولت فيه اثبات حقيقة ان الفصحى انما هي من صنع الله –عز وجل– خدمة لكتابه العزيز، وبيانا لتعاليم دينه السماوي واعجازا لاهل هذه اللغة ، اذ انه سبحانه هيأ لها كل الظروف

الملائمة حتى تصل الى هذا النظم الفريد المعجز لتكون خير وعاء لخير كلام ، حاملة تشريعه سبحانه وأحكامه دونما خلل او نقص.

وقد استعنت في دراستي هذه بجملة من المصادر من ابرزها :

كتاب الصاحبي لابن فارس ، وكان لكتاب (دراسات في اصول اللغات العربية) لأبي مجاهد المدني الأثر الأبرز في بحثي .

واني لشكار لكل من ساهم ولو بشيء يسير في انجاح هذا العمل الذي هو جهد المقل ولا ادعي كمال دراستي وشمولها على عظم اهتمامي وسعيي وانشغالي بالبحث عن ابرز واجباتي ، فإن كنت اصبت فمن الله، وان اخطأت فمن نفسي والشيطان .

والله أسأل حسن العاقبة والمآل فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد : (**ماهية الفصحى**)

من اجل تقديم دراسة كافية لموضوع ما ، فلا بد من التعريف به اولا والاحاطة بكنهه والتدليل عليه ، كي يتهيأ للوصف والتحليل والدراسة لاحقا.

وموضوع بحثي هذا : الفصحى ، كيف تكونت ؟ وما الذي ساعد في اظهارها بهذه الصورة المميزة ؟ يحتاج مني التعريف بهذا اللفظ قبل الولوج الى المقصد الرئيس.

قال ابن منظور :" { فصح } الفصاحة : البيان، فصح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصح (...) وكلام فصيح اي بليغ ، ولسان فصيح أي طلق ، وفصح الأعجمي بالضم فصاحة : تكلم بالعربية وفهم عنه ، وقيل جادت لغته حتى لا يلحن"[1].

من هاتيك المعاني يتبين للباحث ان (الفصحى) : هي الكلام البين المفهوم بأعلى درجاته واجمل سبك فيه .

ثم ان هذه اللفظة اذا اطلقت فيراد بها اللغة العربية خاصة دون سائر اللغات كما صرح به سابقا .

ولا يخفى على اي دارس ان اللغة العربية لغة ذات عمق حضاري بعيد شملت مساحة جغرافية كبيرة من بلاد شتى . وهذا التاريخ الطويل والمساحة الجغرافية الواسعة سببت انشعابا وتعددا واسعا لهذه اللغة نتج عنه تصنيفا نوعيا لها فانقسمت الى اللغة العربية البائدة و العربية الباقية ، وهذه الاخيرة تعددت الى لهجات تمثل قبائل بذاتها.

والسؤال الذي يتبادر الى ذهن المتلقي هو: اي قسم من تلك الاقسام هو المقصود بالفصحى ؟

وكيف نشأ ؟

وكيف تكون ؟

وما العوامل التي ساعدت في هذا التكوين والاكتمال ؟

---

(١) لسان العرب،(١٠٩١٧).

ولأجل اي امر تكونت ؟

كل هذه الاسئلة وغيرها سوف احاول ان اضع لها اجابات دقيقة نافعة ، لأصل بنفسي ومن يطلع على هذا العمل الى نتائج قيمة تتعلق بهذا الصرح اللغوي المتين .

وقد تطرق لموضوع الفصحى ،وكيف تكونت ونمت ، علماء كثيرون، بيد اني أردت في بحثي هذا ان اصل والقارئ الكريم الى نتيجة فيها شيء من الجدة ، فابرزها بدراسة خاصة لتعم الفائدة.

المطلب الاول : (**العربية اصولها ونشأتها**)

بعد ان ثبت لنا في التمهيد ان المقصود بالفصحى هي العربية لا غير، اصبح لزاما علينا ان نبحث في اصل هذه اللغة، وكيف نشأت؟

تشير معظم المصادر التي اطلعت عليها الى ان اللغة العربية فرع من اللغات السامية الأم التي كانت موجودة في العراق في ارض بابل ،وبلاد الحجاز ونجد[١].

و"تؤلف اللغة العربية مع اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية شعبة لغوية واحدة يطلق عليها اسم الشعبة السامية الجنوبية، وذلك ان صلات القرابة التي تربطها بهذين الفرعين أقوى كثيرا من صلات القرابة التي تربطها بشعبة اللغات السامية الشمالية"[٢].

ويبدو ان العربية قد نشأت في أقدم مواطن الساميين–بلاد نجد والحجاز– فإن ما وصل من آثارها يعد من احد الآثار السامية ،واقدم تلك الاثار التي وصلت الينا لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد.

---

(١) ينظر: تاريخ اللغات السامية،٣٣،وفقه اللغة ،لوافي،٧ .

(٢) فقه اللغة ،لوافي، ٩٣.

ولذلك فكل من بحث في اصل اللغة العربية يكاد يصل الى اليأس من المعرفة الدقيقة لطفولتها وما اجتازته من مراحل في عصورها الاولى[١] .

والبحث والتنقيب عن تاريخ اللغة العربية – حسب اطلاعي – يبدأ به إلا من عهد قريب، فلقد بدأ بهذا العمل المستشرقون، وسبقوا العرب أنفسهم في ذلك، فطافوا الارض العربية ونقبوا عن اثار اللغة ونقوشها[٢].

وقد وصلت الينا هذه الاثار من اللغة العربية عن طريق نقوش كثيرة مدونة على الصخور، والأعمدة والقبور والتماثيل والنقود وجدران الهياكل والمذابح وما الى ذلك[٣].

ومعظم هذه النقوش عثر عليها في بلاد اليمن نفسها ،وفي الواحات الواقعة شمال بلاد الحجاز في منطقة العلا ، وبعضها عثر عليه في المناطق الشمالية لبلاد كنعان. ويطلق العلماء على هذه اللغات اسم "اليمنية القديمة" أو العربية الجنوبية القديمة"[٤].

وقد قسم كثير من علماء اللغة العربية على قسمين، هما:

١- العربية البائدة: وهي اللغة التي نقلت عن طريق النقوش، وهي لغات فقدت كثيرا مقوماتها، ولم يصل الينا منها الا بعض تلك النقوش. وهي لغة عاد وثمود وطسم وحديس، ولا تمثل هذه اللغة الفصحى التي وصلت الينا[٥].

٢- العربية الباقية: وهي اللغة المقصودة عند اطلاق لفظة :"اللغة العربية"، والتي لاتزال تستعمل عندنا،وعند جميع الامم العربية الاخرى- لغة الكتابة والتأليف والادب .

وقد وصلت الينا هذه اللغة عن طريق اثار العصر الجاهلي والقران والحديث واثار العصور الاسلامية المخلفة[٦].

---

(١) ينظر:فقه اللغة ، وافي،٩٤-١٠٤، والعربية بين امسها وحاضرها،٥،والفصحى لغة القران.

(٢) ينظر: لماذا اللغة العربية،ص٩١، والعربية بين امسها وحاضرها،ص ١٤٣.

(٣) ينظر: تاريخ اللغات السامية،ص١٧٠-١٩٤، فقه اللغة ،وافي، ص٦٨.

(٤) فقه اللغة، وافي،٦٨، وينظر: اللغات السامية،٨-١٠، وتاريخ الادب،١٠٤-١١٧.

(٥) ينظر : العربية بين امسها وحاضرها، ص١٤٣-١٤٤ .

(٦) فقه اللغة ، وافي،ص٩٤و١٠٤، وتاريخ الادب العربي ص٣٥، والفصحى لغة القران ص٢٩.

وقد ذكر د.عدنان علي رضا النحوي نصا نحب ان نذكره كما هو:

"تعد لغة المسند وهي احدى اللغات السامية، اللغة الأصلية في الجزيرة العربية. واللغات السامية هي: الكنعانية والآرامية والأثيوبية والمكوشية والآكادية. وتعد اللغة العربية الفصحى فرعا من لغة المسند.

وقد ازدهر هذا النوع ونما واشتد خلال القرون الثلاثة قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم"[١].

وهذه اللغة التي وصلت الينا متكاملة القواعد والنظم تمثل عنفوان اكتمالها وعظمتها بعد ان اجتازت مراحل كثيرة في سبيل التطور والارتقاء حتى اصبحت محط اختيار ادبائها وخطبائها في مختلف القبائل العربية[٢].

المطلب الثاني : (أسباب تفوق لهجة قريش)

"من المعلوم ان اللغة كائن حي يتطور على الدوام بتطور المجتمع وينمو تبعا لنمو الافكار وتنوع الحاجات اذ لكل كلمة ولكل اسلوب في كل لهجة تاريخ طويل او قصير ماضي قريب او بعيد "[٣].

وهذا التطور والنمو في اللغة العربية الذي لاحظنا بداياته في المطلب السابق وصولا الى اواخر العصر الجاهلي اذ بلغت هذه اللغة مبلغا عظيما وارتقت رقيا كبيرا وتطورت جميع لهجاتها التي تتكلم بها القبائل المختلفة فأدى ذلك إلى نشوء لهجة ادبية راقية تأخذ من هذه اللهجات جميعا وينظم بها الشعراء اللهجة عدت اللغة الفصحى[٤].

---

(١) لماذا اللغة العربية ص٩٤.

(٢) ينظر فقه اللغة للضامن ٤٢.

(٣) اراء واحاديث في اللغة والادب لساطع الحصري ص٤٧.

(٤) ينظر اللغة ل ج.فندريس ص٤١٧، ودراسات في الشعر العربي لعطا البكري ص١٢ ، والمعجم العربي ، لنصار (١ \ ١٣).

وان كانت اللغة العربية الفصحى هي مزيجا من لهجات قبائل تحيط بالجزيرة العربية او منها، فما هي اللهجة الرئيسة في ذلك؟ وكيف اعتمدت؟ وكيف تكونت؟

يقول ابن فارس : " فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحجيج ويتحاكمون الى قريش مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها فاذا اتتهم الوفود من العرب يتخيرون من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم واصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التي ضجوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب"(١).

يتضح لنا من كلام ابن فارس السابق –والذي ايده كثير من اهل اللغة وعلمائها– ان اللهجة الأفصح بين لهجات القبائل العربية هي لهجة قريش أعظم القبائل العدنانية فقد احتوت على أحسن ما في اللهجات المجاورة من مفردات وخصائص واهملت ما لم يستحسنه لسان العدنانيين(٢).

فقد "اجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وايامهم ومحالهم أن قريشا افصح العرب ألسنة واصفاهم لغة"(٣).

ويشهد لهذا الكلام حديث الصادق المصدوق –صلى الله عليه وسلم– اذ يقول : {أنا أفصح العرب ميد أني من قريش}(٤).

ولقد كان مكان نمو الفصحى وظهورها بأبهى صورها هو مكة أطهر بقاع الارض قاطبة حيث قبلة الحجيج فأصبحت هذه اللغة (لغة قريش) تتبوأ المكانة الاولى بين اللهجات العربية وأصبحت هي المقصودة عند اطلاق لفظة الفصحى(٥).

(**عوامل نهضة لغة قريش وجعلها اللغة الأفصح**):

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص٢٨ ، وينظر اللغات السامية لنولدكة ص٧٤.

(٢) ينظر : دراسات في اصول اللغات العربية ص١٣٦.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة، ص٢٨.

(٤) ذكره العلامة شهاب الدين الالوسي في روح المعاني (١١ \ ١١٩).

(٥) ينظر: فقه اللغة للضامن ، ص٤٣، وتاريخ الادب العربي لضيف ص١٢٠.

لاشك في ان صرحا لغويا كالفصحى تضافرت على النهوض به عوامل كثيرة، ومن ابرز تلك العوامل :

١- "احتكاكها باللهجات العربية الأخرى"[١]:

وقد قدمنا لهذا الأمر فيما سبق، وذكر ابو مجاهد المدني وصفا للعربية الفصحى حين بين انها: "لغة القبائل العدنانية: وهي لغة القبائل التي تنسب الى عدنان ابن اسماعيل عليه السلام وكانت تسكن القسم الشمالي من الجزيرة العربية الذي يشمل: هجر، نجد، والحجاز(...)وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: "أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة اسماعيل".(...) وتأمل قوله (العربية المبينة) تتوصل الى كل ما نريد قوله عن اللغة العدنانية وأنها تمثل المرحلة النهائية في مراحل تطور العربية، المرحلة التي بلغت فيها قمة الفصاحة – والفصاحة هي الإبانة – (...) مرحلة تفتقت فيها اللغة العربية كأنها هي زهرة كانت منكمشة في كمها ثم انفتحت"[٢].

٢- البيئة الجغرافية النقيه :

اذ الصحراء المترامية الأطراف التي تميزت بوعورتها مما جعلها بعيدة عن مختلف البيئات الاخرى مما دفعهم الى " الحيطة في اخذ اللغة على النحو الذي وصفه ابو نصر الفارابي (...) هو الحيلولة دون تسرب الدخيل الى العربية ما لم يطبع بطابع الفصحى تبعا لأساليب تعريبها"[٣].

فكان اهل قريش لايعتدون بلغة القبائل التي بعدت عن جزيرتهم و" لذلك علل ابن جني امتناعهم من الأخذ عن أهل المدر- كما أخذوا عن اهل الوبر- ب"ما عرض للغات الحاضرة واهل المدر من الاختلال والفساد والخطل . ولو علم ان اهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يتعرض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم"[٤].

---

(١) فقه اللغة لوافي ص١١٣، وينظر : فقه اللغة للضامن ص٤٣.

(٢) دراسات في اصول اللغات ١٣١، وينظر تاريخ الادب العربي لفروخ ٣٦-٣٧.

(٣) دراسات في فقه اللغة للضامن ١١٣، وينظر: دراسات في اصول اللغات العربية ١٣٢.

(٤) دراسات في فقه اللغة للضامن ص١١٤-١١٥.

اذ المعلوم ان " فصحاء العرب: عرب البدو بالجزيرة العربي الى اواسط القرن الرابع الهجري، وعرب الأمصار في هذه الجزيرة الى نهاية القرن الثاني الهجري"[١].

٣- المجتمعات الخاصة :

اعتاد العرب في الجاهلية ان يعقدوا تجمعات لفصحائهم وادبائهم، ومن تلك التجمعات اسواقهم التجارية فقد كانت اللغة المستعملة في تلك التجمعات هي لغة قريش، لأن هذه التجمعات كان كل ما يلقى فيها هو من فنون الآداب من الشعر والنثر، وقريش استأثرت بهذه الميادين [٢].

٤- "حضارة قريش ونعيمهم"[٣]:

فإن قريش كانت جارة لبيت الله الحرام وهو مقدس لدى القبائل العربية جميعها فتحقق لهم بفضل نفوذهم الديني هذا ، نفوذ اقتصادي نتج عن توافد الزوار والحجيج وحمل البضائع منهم وإليهم ، مما اعطاهم ذلك نفوذا سياسيا عظيما كان سببا في نعيمهم وعلو شأنهم[٤].

كل تلك العوامل وغيرها قد لا تكون بمنأى عن أي دارس او باحث في اصل اللغات ومراحل تكوينها ،بيد ان لغتنا العربية الفصحى لها شأن اعظم من ذلك بكثير، ووراءها أمر جلل صيّر منها صرحا عظيما معجزا في سبكه ونظمه لأهله وذويه .

فما ذاك الأمر الجلل ؟

وأي شيء أريد لهذه اللغة ؟

فحصلت على كل تلك العناية والتطور والدقة والشمول دونما خلل او قصور .

هذا ما سنحاول بيانه المطلب القادم بإذن الله تعالى.

المطلب الثالث : (الفصحى لغة القرآن)

---

(١) فقه اللغة لوافي ٣٠٢، وينظر: دراسات في فقه اللغة ١١٣-١١٤.

(٢) ينظر: فقه اللغة لوافي ص١٠٨و١١٣.

(٣) المصدر نفسه ١٠٦ ، وينظر : دراسات في اصول اللغات العربية ١٣٥.

(٤) ينظر : فقه اللغة لوافي ص١٠٦ و١٠٧ و ١١١.

ثبت لنا مما مر أن اللغة العربية مرت بمراحل عديدة – تاريخية واجتماعية – كي تصل الى الذروة المنشودة متمثلة بالفصحى التي نحن بصدد الحديث عنها .

وبدا لنا أيضا ان هذا الكمال في التركيب والتطور والنماء إنما تم قبيل بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – فكأنها أعدت لحمل تعاليم هذه الرسالة الخاتمة للأديان السماوية التي شرعها الله لأن تكون منهاجا لخلقه يسيرون عليه الى ان يرث الله الأرض ومن عليها[١].

يقول د. عدنان النحوي : " لقد نمت اللغة العربية من خلال تاريخ طويل مرت به في الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق واستقرت على صورة من القواعد والبناء والبيان في نثرها وشعرها (...) حتى تميزت بذلك كله بروعة البيان وجمال التعبير وأسر الكلمة وحتى اصبحت هذه اللغة العظيمة غنية بكلماتها ومشتقاتها وقواعدها وبلاغتها(...)

واصبحت اللغة كنزا في حياة العربي تؤثر في فكره ونهجه واصبح الشعر ديوان العرب(...) فما نزل الوحي الكريم من عند الله باللغة العربية إلا بعد ان بلغت اللغة نضجها واستقرت لتستقر بها قواعد الاسلام وآيات الكتاب المجيد واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

واصبحت اللغة العربية تتميز "بجوامع الكلم" مما لا يتيسر في لغة اخرى حتى كان من خصائص النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم أن اوتي جوامع الكلم . فعن ابي موسى الاشعري عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال :"أعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه"[٢] (...)وجاء القران الكريم ليبين منزلة اللغة العربية "[٣]، فذكر

---

(١) ينظر: قضية اللغة العربية لتيمور ٦-٧، والفصحى لغة القران ٢١، ولماذا اللغة العربية ٢٧ ،٣٢.

(٢) النص في الخصائص الكبرى للسيوطي (٣٣٤\٢).

(٣) اراء واحاديث في اللغة والادب ص٢٧-٢٨.

ذلك في اكثر من مناسبة ، منها: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾[1]. و﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[2]. و﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[3].

ولقد درجت السنن الالهية ان تكون لكل رسالة الهية آية ومعجزة تعجز من هي لهم لتكون لهم دليلا على صحتها وكونها من خالق الكون –سبحانه– ويبدو ان معجزة الدين الخاتم والنبي محمد–صلى الله عليه وسلم– وهو النبي الأمي الناشيء في بيئة غاية في الفصاحة والبيان ، يبدو ان المعجز لهم هي اللغة التي يتفاخرون بانهم اسيادها وارابها.

والاعجاز في ذلك كون النبي –صلى الله عليه وسلم– تربى بينهم وهم اكثر الناس معرفة به وهو الأمي الذي لا يجيد الكتابة والقراءة فيأتيهم بنظم وبيان يعجزون ان يصنعوا مثله، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[4].

ولقد "اعتبر ذلك الكتاب اسمى نمط للعربية الفصحى"[5]، لذا فان ذلك التطور الكبير والاندماج المقصود بين افصح اللهجات انما كان اعدادا لهذه اللغة الموحدة لأن تكون خير وعاء يحمل الكتاب المقدس ،كلام رب العالمين ، القران العظيم.

ونرى بأم اعيننا "كيف تعدها لأخطر مهمة ولأكبر رسالة ،لأن تكون لغة الكتاب الخاتم المنزل من السماء ورسالة الدين الذي جاء للعالمين وللناس كافة"[6].

---

(١) الزمر \ ٢٨.

(٢) يوسف \ ٢.

(٣) { الشعراء \ ١٩٥ }.

(٤) {الاسراء \ ٨٨ }.

(٥) قضية اللغة العربية ص٧.

(٦) الفصحى لغة القران ص٢١.

لذا فان اختيار اللغة العربية من بين اللغات الاخرى وجمع افضل لهجات هذه اللغة بلهجة واحدة، ألا وهي لهجة قريش، أمر قد قدره الله تعالى لأن تكون هذه اللغة المختارة هي الوسيلة التي تبلغ بها تعاليمه سبحانه.

وهذا الصنع الرباني الفريد يصوره ابو مجاهد عبد العزيز المدني خير تصوير حين يقول:" أوحى عز وجل الى نبيه ابراهيم الخليل – وهو بابلي من العراق – أن يرحل بزوجه – هاجر– وهي مصرية ليتركها مع وليدها –اسماعيل– في هذه الارض القحلة الصحراوية من ارض الحجاز ثم يتم اتصال –هاجر– بقبيلة جرهم فكأنما صبت الأصول: البابلية، المصرية، العربية البائدة في بوتقة واحدة لتفتق عربية اسماعيل.

ثم يسخر الله عز وجل لذرية اسماعيل – العدنانيين – عاملا اخر مهما من العوامل التي ساعدت على نماء لغتهم وهي هجرة –القحطانيين– بعد انهيار سد مأرب واختلاطهم بهم ..

فبقيت هذه اللغة –العدنانية – تأخذ طريقها الى النمو والتصاعد لتشكل في نهاية الأمر اللغة العربية الرئيسة المتكاملة التي بقيت الى ان يرث الله الارض ومن عليها، فبينما اخذت اللغات الاخرى ومنها (الحميرية) طريقها الى الانقراض .. حتى لم يبق اليوم إلا بقايا أثرية في الاطلال والنقوش وكتب اللغة"[1].

الخاتمة

تبقى اللغة وكيفية صياغتها وصناعتها وتكونها امرا معجزا لا يهتدي لكنهه بصورة دقيقة الا موجدها سبحانه او من شاء الله له ان يحيط بها كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

إن أبرز النتائج التي تبلور عنها هذا البحث هي :

١- إن لغتنا العربية الفصحى التي بين ايدينا متمثلة بالقران الكريم والحديث النبوي والشعر هي افضل النعم التي انعم الله بها علينا–نحن العرب– وهي عنصر مهم

(١) دراسات في اصول اللغات العربية ،ص ١٣٢، وينظر : لماذا اللغة العربية ص١٥-١٦ .

من عناصر الشخصية وركن رئيس من اركان الثقافة التي نتعهد بها انفسنا كي نواكب مسيرة الحضارة والرقي .

٢- ولا يشفع للمثقفين اليوم – حتى في غير الاختصاص – ان يهملوا لغتهم باي ذريعة كانت ، لكونها جوهرة ثمينة تزين جوهرنا وتتزين بها ظواهرنا ومجتمعاتنا يوم ان تستمد ذلك من خالقها ، وموجدها.

٣- ان العربية هي افصح اللغات واوسعها وافضلها ، ولغة اهل العراق هي من اللغات الرئيسة التي ساهمت في تكوين الفصحى ، تلك اللغة البابلية المتمثلة بلغة سيدنا ابراهيم عليه السلام . قال ابن عباس رضي الله عنهما : (أول من وضع الكتابة العربية (...) من طيء من قبيلة بولان من سكنة الانبار)[١].

وفي ذلك فخر كبير لأهل العراق أن اختار الله جزء" كبيرا من لغتهم كي تمثل لغة كتابه الفصل ودينه الحق ومعجزة نبيه الخاتم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كبيرا.

٤ – إن اللغة الفصحى قد تعهد الله سبحانه بحفظها بأنها لغة الكتاب الخالد، إذ قال : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)،وخدمتها شرف يتباها به أهله وفخرا لهم.

واني حين اختم بحثي هذا لا اختمه وانا مشبع من البحث فيه ولكن المقام يقتضي عدم الاطناب والاسترسال ، واني على يقين ان الباحث في هذا المضمار سيزداد في كل يوم فخرا وانبهارا بأسراره وخفاياه.

المصادر

- القرآن الكريم.
١. اراء واحاديث في اللغة والادب،ساطع الحصري،دار العلم للملايين،١٩٥٧.

(١) ذكره صاحب كتاب دراسات في اصول اللغات العربية ،ص١٣٣. ولم أجد له سند في متون الحديث .

٢. الصاحبي في فقه اللغة العربي ومسائلها وسنن العرب في كلامها،احمد بن فارس(٣٩٥)هـ، ط١ ،١٩٩٧.
٣. تاريخ الادب العربي،د.شوقي ضيف، ط٨ ،دار المعارف.
٤. تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ ،دار العلم للملايين،بيروت، ط ١ ،١٩٦٥.
٥. تاريخ اللغات السامية ، د.اسرائيل ولفنسون،دار الاعتماد،ط ١ ، ١٩٢٩.
٦. الخصائص الكبرى للسيوطي،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٥.
٧. دراسات في اصول اللغات العربية،ابو مجاهد عبد العزيز القاريء المدني، ط٦، ١٩٧٤.
٨. دراسات في الشعر العربي ، عطا بكري ، بغداد،١٩٦٧.
٩. دراسات في فقه اللغة ، د.صبحي الصالح،دار العلم للملايين، ط ٥١ ،١٩٧٣.
١٠.روح المعاني في تفسير القران الكريم والسبع المثاني،للآلوسي ،دار احياء التراث العربي،بيروت.
١١.السلسلة الصحيحة ، للالباني،مكتبة المعارف.
١٢.العربية بين امسها وحاضرها ، د.ابراهيم السامرائي ،بغداد،١٩٧٨.
١٣.الفصحى لغة القران ،لأنور الجندي ،دار الكتاب اللبناني،١٩٨٢.
١٤.فقه اللغة،د.صالح الضامن،دار الحكمة،١٩٩٠.
١٥- فقه اللغة،د.علي وافي،لجنة البيان العربي،ط ٦١ ، ١٩٦٨.
١٦- فلسفة اللغة ، كمال الحاج ، دار النشر للجامعيين.
١٧- قضية اللغة العربية، محمود تيمور.
١٨- قل ولا تقل ،مصطفى جواد ، المجمع العلمي العراقي.
١٩- لسن العرب لأبن منظور،دار الحديث،القاهرة،٢٠٠٣.
٢٠- اللغات السامية، نيو دور نولدكه،ترجمة رمضان عبد التواب، دار النهضة، المطبعة الكمالية.
٢١- اللغة العربية اصل اللغات كلها، عبد الرحمن البوريني، دار الحسن ، ط ١١ ، ١٩٩٨.

٢٢- اللغة ، ج.فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، مطبعة البيان العربي.
٢٣- لماذا اللغة العربية؟ د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، ط ١ ١٩٩٨،.
٢٤- المعجم العربي نشأته وتطوره ، د.حسين نصار ، دار مصر، ط ٤ ، ١٩٨٨.